

د. آدم أديبايو سراج الدين - الجامعة الفدرالية كاشييري - نيجيريا



مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية الروى والآفاق



المخلص

عنى نفر من المستشرقين من مختلف الجنسيات بتناول الدراسة الشرقية، وخاصة الإسلام وعلومه ولغته العربية وآدابها وثقافتها، فقاموا بدراسة الإسلام والمسلمين في أبحاثهم العلمية والأدبية؛ ليتوصلوا بذلك إلى تحقيق السيطرة والهيمنة ليس على العالم الإسلامي فحسب، بل على دول العالم الثالث على الساحة الاقتصادية والسياسية ولا يخفى أن من أهم استراتيجياتهم إلى تحقيق ذلك وضع مناهج تعليمية خاصة لإعداد كوادر مؤهلة للقيام بالمهمة. تهدف هذه الدراسة إلى بيان أهداف مناهج المستشرقين وفلسفتها الاستشراقية في الدراسات العربية والإسلامية، متخذين من دراسة أنثروبولوجية المسلمين إلى ذلك سبيلاً؛ ليكونوا على دراية تامة بسلوكيات المسلمين ومدى فهمهم لأساسيات دينهم الإسلامي وأثره في حياتهم الاجتماعية.

المقدمة

تعرض هذه الدراسة لمنهج المستشرقين في تناول الدراسة الشرقية وخاصة الإسلام وعلومه ولغته العربية وآدابها وثقافتها، متخذين دراسة أنثروبولوجية المسلمين إلى ذلك سبيلاً، كما تدرس آثار المستشرقين في تكوين الرأي العام الغربي عن الدين الإسلامي والمسلمين، حيث قام المستشرقون بدراسة الإسلام والمسلمين في أبحاثهم العلمية والأدبية؛ ليحصلوا على معرفة سلوكيات المسلمين وعقليتهم ومدى فهمهم لأساسيات دينهم الإسلامي وأثرها في حياتهم الاجتماعية؛ ليتمكنوا بذلك من نيل السيطرة على الدولة الإسلامية على الساحة الاقتصادية والسياسية.

ولقد نجحوا في ذلك إلى حدّ بعيد، ذلك لأنهم على علم أن أفضل السبل لتحقيق المشروع النهضوي الشامل للمسلمين هو النص الإسلامي الأصيل الذي يستطيع تحديد المسار الصحيح للفكر الإسلامي والعلم والحضارة وبناء التاريخ على أساس يتوافق مع فطرة الإنسان... ويؤيد هذه الفكرة قول زقزوق "إن الواقع الذي لا يمكن إنكاره هو أن للاستشراق تأثيراته في الفكر الإسلامي الحديث سلبا وإيجابا، أردنا أم لم نرد، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نتجاهله أو نكتفي بمجرد رفضه" (01)

فقد عكف المستشرقون على دراسة كتب التراث العربي الإسلامي في ضوء بحوثهم لتاريخ آداب لغاتهم، فاهتدوا إلى الأصول العامة للأدب العربي والدراسات الإسلامية، وإبراز المؤثرات في اللغة والأدب خلال كل فترة، وترجموا للأعلام وقسموها إلى مدارس، وميزوها عن بعضها بفروق وخصائص، وصفات وسمات، وأحيوا فن تحقيق النصوص وتوثيقها، وهو فن عربي خالص خلفه الأسلاف في رواية كتب الحديث والتاريخ، وفي الأدب واللغة والشعر، ونشروا عيون التراث العربي الإسلامي، ووضعوا فهارس لما نشروا، كما قام أولئك المستشرقون بالتأليف في الأدب العربي والدراسات الإسلامية وخلفوا آثارا يتداولها الباحثون العرب وغيرهم اليوم.

وبجانب هذا، عنى نفر من المستشرقين من مختلف الجنسيات باستكشاف العالم الإسلامي من كافة جوانبه نظرا لقواه من جوانب مختلفة أمثال غزوة أوروبا شرقا من بيزنطة وغربا من أندلس وجنوبا من صقلية وإيطاليا، كما احتكر أوروبا طرق التجارة ومصدر الصناعات ومركز الاقتصاد العالمي لقرون عديدة حسب رأي شعبان أيوب (02)، كذلك جاب عدد من المستشرقين الأوروبيين في القرن التاسع عشر الميلادي وما قبله ربوع السودان، وراحوا يستكشفون بقاعه، فقد اخترق الرحالون إفريقيا حتى أواسطها وجمعوا ما بين البحث النظري والعمل على أحسن الوجه، كما استطاع أولئك الرحالون الأوروبيون أن يعتمدوا في حالات قليلة جداً على أبحاث ودراسات تمهيدية سابقة، وكان علم اللغات الشرقية وبخاصة اللغة العربية لا يزال حقلًا علميًا فنيًا منذ ذلك الوقت.

الاستشراق والمستشرقون

الاستشراق هو أحد العوامل المهمة التي أثّرت، ولا تزال تؤثر في الفكر الفلسفي العربي والإسلامي منذ العصور الوسطى إلى اليوم، حيث كان المقصود منه نقل الشرق بعلومه وثقافته وفلسفته وحضارته إلى الغرب الأوروبي لدوافع متعدّدة. يمكن القول بأنه من الصعوبة بمكان أن يجد الباحث مجالاً من مجالات دراسة الشرق وعلومه خالياً من أبحاث المستشرقين. للدارسين آراء ووجهات نظر متعدّدة في تحديد معنى الكلمة، فبينما يرى بعض الدارسين أن مفهوم الاستشراق اللغوي يفيد الميل نحو الشرق أو التلبس الشرقي، ذهب القاموس الإنجليزي إلى أنها

كلمة مشتقة من الشرق تقابلها بالإنجليزي Orient/East التي هي ضدّ الغرب أي / Occident West في المصطلح الجغرافي(03).

وفي دائرة المعارف، تفيد اسما يطلق على الأقطار والجزر الآسيوية في بعض الأحيان، ويطلق هذا المصطلح على القسم الغربي من آسيا الذي يسمّى أيضا الشرق الأدنى، ويرى بعض الباحثين أن المصطلح Occident يستعمل للأقطار التي تغرب فيها الشمس، وتشمل أوروبا ونصف الكرة الغربية(04).

وفي بعض الحقب التاريخية أصبحت كلمة الشرق مصطلحًا سياسيًا يطلق على البلاد التي تشارك أوروبا الغربية في فكرتها وعقيدها في كلّ مرافق الحياة ونواحيها المختلفة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبهذا المفهوم يتجاوز معنى المصطلح الشرق الجغرافي، ليشمل أقاصي البلاد مثل أمريكا وكندا وأستراليا ونيوزيلندا وغيرها. ويرى Webster أن الاستشراق هو تعليم المواد الشرقية أو دراسة الفكرة الشرقية الموجودة في العادات الغربية. فالاستشراق عموما ظاهرة مستحدثة وهي مشتقة من الشرق التي تعنى مشرق الشمس، ومن ثمّ تدلّ الكلمة على الاهتمام بما يحويه الشرق من علوم ومعارف وسمات حضارية متنوّعة(05).

وقد يراد بالاستشراق دراسة الغربيين للشرق وأممه، ولغاته وأدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره. ويقصد به في العصور الوسطى دراسة العبرية لصلتها بالدين، واللغة العربية لعلاقتها بالعلم. وتتمثل أهمية الاستشراق في ما له من الأثر الكبير في صناعة التصوّرات الأوروبية عن الإسلام وثقافته، وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة. وبمكنا أن نذهب إلى أبعد من ذلك، فنقول: "إن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع الحضاري" كما قرّره أحد الباحثين(06).

وقد تمّ نقل الشرق إلى الثقافة الغربية الحديثة بوسيلتين: الأولى قدرات النشر والإذاعة التي يملكها التعليم الحديث وجهازه المبتوث في الجامعات والمدن والجمعيات والمنظمات الجغرافية والاستكشافية، والثانية ترتبط بما قام به المستشرقون من ترجمة النصوص وتفسير الحضارات والأديان ودراسة السلالات والثقافات والعقليات كمواضيع جامعية محجوبة عن الغربي العادي بحكم طبيعتها(07).

لقد أرجع بعض الباحثين بداية الاستشراق إلى محاولات فردية منذ أواخر القرن العاشر الميلادي، ومنهم من يعيد أوليته إلى بعض البلدان الأوروبية في القرن الثالث عشر الميلادي، أو ما قبله بقليل، ومنهم من يرى أنه بدأ منذ الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م حين قام عدد كبير من العلماء مع نابليون بونابرت باصطحاب المطبعة معهم إلى مصر(08).

ولعل أرجح من هذه الآراء المتباينة ما أورده العلامة الإلوري (09) أن نشأة الاستشراق تعود إلى سنة 1312م، وذلك في مؤتمر أقامته السلطة الكنسية العالمية World Church Authority في فيننا Vienna، حين توصل المشاركون إلى التشجيع على تعليم اللغات الشرقية وثقافتها ودياناتها وعلى رأسها اللغة العربية وأدابها، بشرط أن يبدأ هذا المشروع في الجامعات الأوروبية المعيّنة أمثال باريس وأكسفورد وبولونيا.

أما المستشرقون فهم الباحثون الغربيون الذين يكتبون ويدرسون عن الفكر الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية وحضارتها، ويقول الآخرون إنه - المستشرق - العالم الغربي الذي يهتم بالدراسة الشرقية، ويرى الأستاذ الزياتي أنه من عُني بالبحث والدراسة في لغة الشرق وعلومه، أو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه، فالمستشرق هو الإنسان الذي يهتم بما يدور في الشرق من مجالات مختلفة، وتقابل هذه الكلمة كلمتي "مستغرب واستغراب" اللتين تدلّان على الميل نحو الغرب إعجاباً أو تقليداً أو دراسةً، وقد تعددت الآراء في تحديد معنى المستشرق كما هو الشأن في تحديد معنى الاستشراق. وجملة القول أنه من تخصص في دراسة الإسلام ولغته العربية من غير المسلمين، وكل ما يعمل هذا المستشرق يسمى بالاستشراق على حدّ رأي الزياتي (10).

والحق أن المستشرقين خلفوا ما لا يستهان به من الدراسات الجيدة، وذلك في سبيل وضع دراسات شاملة تكشف جميع نواحي الحضارة العربية الإسلامية في أنحاء العالم بأسره، وهذه الدراسات قد أدى هؤلاء المستشرقون للإسلام ولغته وثقافته وأتمته خدمات جليلة صادقة. فقد قام أولئك المستشرقون برحلات قاطعين بلاد إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، كما قاموا بهذه الرحلات في بلاد آسيا الشرق الأدنى وغيرها من بلدان المسلمين والعرب، ولهذه الرحلات ولما قصوه عن مشاهداتهم فيها أثر بالغ في تاريخ الاستشراق وحركاته، ودور لا يستهان به في إيقاظ الرغبة في مشاهدة تلك البلاد ودراسة كل ما يتعلق بلغاتها وثقافتها وحضاراتها.

أهداف المستشرقين في الدراسات الإسلامية والعربية

شهدت الفترات ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين فتح أبواب الاتصال بين أوروبا والشرق الأدنى وبعض المناطق في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وما أسهم فيها المستشرقون من الجهود الجبارة في اكتشافات جغرافية وإثنولوجية بالغة الأهمية بالنسبة لأجزاء كبيرة من تلك المناطق، ولا شك أنه كان مفاخر أولئك الرحالين الطموح في أن يتمكنوا من زيارة هذا القطر ومشاهدة بيئتها الهائلة، بيد أن كل هذه المحاولات لم تكن إلا لغرض معين فيما نؤمن، ولا بد من أن تكون هناك عوامل وبواعث وأهداف تدعو أبناء الغرب إلى اتخاذ هذه الأمة والشعوب وثقافتها موضوعاً لدراساتهم كما سبق الذكر.

لقد اختلف الدارسون في الدوافع للمستشرقين في هذا القبيل، لقد صكه من صكه، وترك الدارسون هنا وهناك يتجادلون في شأنه، ما بين مادح وقادح، وما بين مؤيد على طول الخط، ومعارض على الخط، فقلّمًا تجد من وقف في منتصف الطريق منهم، شأن البشر في كلّ قضية فكرية جديدة أم قديمة، وخصوصًا إذا كانت من القضايا ذات الوزن الثقيل، التي تمسّ حياة الناس مثل التي كنا بصدها الآن.

هذا، لقد حاول بعض الدارسين تقسيم أهداف المستشرقين في قيامهم بدراسات الإسلام والمسلمين بحسب أقطار، ذهب بعض إلى أن المدرسة الألمانية منهم إمتازت من بقية المدارس الاستشراقية من حيث إنها لم تكن نتيجة لأهداف سياسية استعمارية ولم تكن وثيقة الصلة بالأهداف التبشيرية كدول أخرى من فرنسا وإيطاليا بل على العكس(11).

فمن الدارسين من يرى أن المستشرقين قاموا بتلك الدراسات القيّمة بتجرّد وإخلاص، ولعل ممن طار صوتهم من أصحاب هذا الرأي الأستاذ صلاح الدين المنجد(12)، الذي كان صديقًا لعدد كبير من المستشرقين الألماني على وجه الخصوص لما فوق ثلاثين سنة، حيث عرف معظمهم شخصيًا، وقد زار بعض جامعات ألمانيا وألقى فيها محاضرات عديدة، وأطلع على كثير من دراساتهم الماضية والمعاصرة، ونقل بعضها إلى اللغة العربية في كتابه "المنتقى من دراسات المستشرقين".

لهذا يرى أن حركة المستشرقين اختصت بمزايا واضحة لأنها - على حدّ رأيه- لم تخضع لغايات سياسية أو استعمارية أو دينية كالاستشراق في بلدان أوروبية أخرى، يقول صلاح الدين المنجد: " فألمانيا لم يُنخّ لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية، ولم تهتمّ بنشر الدين المسيحي في الشرق، لذلك لم تؤثر هذه الأهداف في دراسات المستشرقين الألماني، وظلّت محافظة على الأغلب، على التجرّد غالبًا، والروح العلمية(13).

استمرّ المنجد في قوله: "وإذا ظهر في بعض الدراسات الاستشراقية الألمانية، بعض الانحراف في الرأي أو الخطأ فهذا أمر لا يمكن تعميمه في الدراسات كلّها، وقال: "ولست أنكر أن في إنتاج بعض هؤلاء المستشرقين نقصا أو أغلاطًا، ولكن من هو العالم الكامل؟ يكفي أنهم عملوا بحبّ وحماسة بقدر ما أسعفهم به المعرفة والمصادر. ولقد استدرك بعضهم على بعض، بإخلاص وصحّ بعضهم أخطاء بعض، وكانوا علماء حقًا يقبلون كلّ نقد وتصحيح" (14) اهـ.

هكذا كان صلاح الدين المنجد يدافع عن حركات الاستشراق وبخاصة الألماني منهم - وهم الذين جاءوا إلى إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وفي دراساتهم كنا بصدها في هذا الباب والفصل بالذات - وإن كان هذا الدارس لا يرى بأسًا في حركات الاستشراق ما كانت متصفة - على الأغلب - بروح عدائية، أو بعبارة أخرى، إذا لم يرى المنجد المستشرقين الذين أتوا بأراء لا

توافق المسلمين في عقائدهم الدينية ولا يؤمن أن من الدوافع التي دعت المستشرقين إلى دراسة اللغة العربية والإسلام والمسلمين الدافع الاستعماري السياسي.

فإن أمثال إدوارد سعيد(15) ود. أحمد عبد الرزاق(16) والأستاذ عبد اللطيف تبوي(17) وغيرهم من العلماء المسلمين الذين يدققون دراسة وآراء المستشرقين الألماني منهم والإنجليزي، ويروا أن الاستشراق حركة علمية صوّرت للسيطرة على بلاد المسلمين وغيرهم من العالم الثالث، وذهبوا إلى أن البواعث والأهداف التي دعت الاستشراق إلى تلك الجهود المضنية عديدة ومتنوعة منها الاستعماري السياسي والديني والعلمي والتجاري متخذين دراسات الثقافات والحضارات وسائل إلى ذلك سبيلا.

هذا، لقد تنوّعت أهداف ومضامين الدراسات الاستشراقية وجولات المستشرقين والرحالة الغربيين في العالم الإسلامي وكان على رأسها تمهيد الطريق للاستعمار السياسي والتبشير الديني(18)، فهذا هو الهدف الرئيس في خدمتهم للتراث الإسلامي خدمة جليلة وإقامة المؤتمرات العلمية والدراسات والبحوث منذ أمم بعيد إلى اليوم.

يقول مارسيل بواراز: "كان الاستشراق في الأصل أحد الفروع العلمية المرتبطة بالعلوم الاستعمارية في فرنسا وفي بريطانيا العظمى وفي البلاد الواطئة، فقد كان المطلوب إجمالاً فهم العقلية الإسلامية فهما جيداً، لتسهيل الإدارة الاستعمارية للشعوب الإسلامية، ليس هذا نقداً بل هو بدهية وحقيقة لم تحاول الدول الاستعمارية إخفاءها، ويشير إدوارد سعيد(19) إلى مثل ذلك حيث إنه يعرف الاستشراق من هذه الزاوية الاستعمارية إذ ينظر إلى الاستشراق باعتباره أسلوباً غريباً للسيطرة على البلاد الإسلامية وامتلاك السيطرة عليه"(20).

ولا شك أن المستشرقين بنوا دراساتهم على أساس تحقيق دراسة الثقافة العربية الإسلامية حسب التقلبات السياسية والتاريخية والاجتماعية التي شهدتها العالم الإسلامي مع الحرص على إبراز المواقف الفكرية، فقد ارتبط الاستشراق بالاستعمار الأوربي للبلاد الإسلامية وكانوا في مسيس الحاجة إلى معرفة طبائع عادات الشعوب ليتمكن لهم تحقيق غرضهم الأساسي(21)، والمتتبع لحركات الاستشراق في إفريقيا العربية الإسلامية في القرنين الماضيين يلاحظ ذلك من المستشرق والرحالة الألماني هاينريش بارث وبالمر في إمبراطورية البرنو الإسلامية- في إفريقيا الغربية في القرن التاسع عشر الميلادي.

ونحن وإن خالفنا ما ذهب إليه المنجّد في إدعائه، لا يسعنا إلا أن نلاحظ الدافع السياسي في حركات أولئك الرحالين الألمان في مملكة برنو والعلاقة التي وقعت بين المملكة والحكومة في ألمانيا فيما بعد إلى اليوم. ولذلك ذهب الكثير من الباحثين إلى الإيمان بالربط الوثيق بين الاستشراق والاستعمار السياسي بل يرى بعضهم أن الاستشراق والاستعمار

السياسي وجهان لحملة واحدة(22). ولعلنا لا نفصل بين الدافع الاستعماري السياسي والدافع التجاري من الدافع التي دعت الاستشراق إلى البلاد الإسلامية، يقول زقروق(23):

"مما لا شك فيه أن تزايد العلاقات التجارية بين الشرق والغرب، قد شجّع الغربيين على دراسة اللغة العربية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، إذ رغب الغربيون في توسيع تجارتهم مع هذه المناطق، للحصول على المواد الأولية اللازمة للصناعة الأوروبية الحاجة ماسة للسفر إلى هذه البلاد الإسلامية، ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد، وتحقيق ما يصبون إليه من فوائد تعود على تجارتهم بالربح الوفير، وكان الملوك يزودون هؤلاء التجار الباحثين بما يحتاجون إليه من مال، وكذلك فعلت المؤسسات المالية والشركات.

ساهم المستشرقون في الاتجاه إلى دراسة الثقافة العربية الإسلامية الحيّة كواحد من متطلبات النشاط التجاري الناجح، ولذلك أرسلت الحكومة الألمانية - مثلا - عددًا من رجالها وأن يكونوا على إلمام باللغات والثقافات الخاصة بالشعوب، وهذا ما كان أهمية وجود الرحالين أمثال بارث في إفريقيا الغربية، وقد كان هذا حافزًا قويًا شجّع الدراسات الاستشراقية كما نراها في مؤلفات وأبحاث أولئك المستشرقين في هذا القطر.

مبادئ وأهداف الاستشراق وفلسفته في الدراسات العربية الإسلامية

بنى المستشرقون دراساتهم للغة العربية وأدائها على أساس تحقيق دراسة الأدب العربي، حسب التقلبات السياسية والتاريخية والاجتماعية، التي شهدها العالم العربي الإسلامي، مع الحرص على إبراز المواقف الفكرية التي تكشف عن شخصية الأديب وتوضيح اتجاهاته، وتبرز أثر الإسلام والقرآن والحديث في اللغة والأدب. وإلى جانب هذا تتبّع الحركات الفكرية والسياسية والعقلية منذ ظهورها وطوال عصورها المتعاقبة، مع محاولة فهم الشخصية العربية الإسلامية والدول الإسلامية قاطبة، خلال كشف النقاب عن الفكر العربي الإسلامي عامة، والأدب على وجه الخصوص.

ومن مختلف جهود المستشرقين نبعت دراسات جديدة تناولت الأطروحات - الرسائل - الجامعية، وتحقيق المخطوطات العربية. وبدأت الجامعات العناية بدراسة الشخصية ومعرفة آثارها ومدى تأثيرها بالبيئة وتيارات العصر على ضوء مختلف التجارب، ومن ثم أصبح - من الضروري - ضبط المراجع، وتعيين المصادر، وتنسيق الفهارس، وترقيم الشروح وتحديد زمن النشر وذكر مكانه. أضغى ذلك كله عملاً فنيًا يدخل في إطار التأليف الأدبي، ولازم في طريقة تصنيفه، ألا وهي السيطرة الاقتصادية السياسية وما ترتب عليها من ملامح العولمة منذ أمد بعيد إلى اليوم.

هذا، لقد انتهزت الحركة التبشيرية الصليبية تلك الفرصة السانحة في انتشار المسيحية وحركاتها وأيديولوجياتها وما ترتب عليها من أسس ومبادئ العلمانية والتبعية والهيمنة الغربية وغيرها مما يصاد العقيدة الإسلامية من الثقافة والحضارة في أنحاء العالم ذلك لأن المستشرقين على علم أن أفضل السبل لتحقيق المشروع النهضوي الشامل هو النص الإسلامي الأصيل الذي يستطيع تحديد المسار الصحيح للفكر الإسلامي والعلم والحضارة وبناء التاريخ على أساس يتوافق بفطرة الإنسان...لقد كانت هذه الدراسات الاستشراقية التي استعان بها المستعمرون الأوروبي في العالم الثالث بما فيها الدولة الإسلامية وغيرها في الساحة السياسية والاقتصادية، وبالرغم من هذه القضايا كلها فإننا لا نتغاضى عن جهود المستشرقين الجبارة الملموسة في أبحاث علمية وأدبية وغيرها قاموا بها في هذا المجال.

منهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية

رغبة الحصول على الأهداف المتعددة لدى أولئك المستشرقين تجاه السيطرة السياسية والاقتصادية على الدول الإسلامية وغيرها من العالم الثالث، لقد اتخذ المستشرقون عددا من المناهج إلى ذلك سبيلا. اتخذ المستشرقون منهج دراسات أنثروبولوجيا واستعانوا بها خاصة لمعرفة طبائع وعادات الشعوب الشرقية الإسلامية التي كانوا يحتاجون إلى سيطرتها وتحكمها، وهذا الدافع السياسي هو الأصل في حركات الاستشراق قاطبة وهدفهم في ذلك فهم العقلية الإسلامية لتسهيل الإدارة الاستعمارية لهذه الأمة والشعوب المسلمة. ينظر إدوارد سعيد إلى الاستشراق باعتباره أسلوبا غربيا للسيطرة على الشرق وامتلاك السيطرة عليه(24).

ولقد أدت هذه الغاية الأساسية إلى دوافع متعددة أخرى أمثال الدافع العلمي الذي هو من الوسائل في الحصول على غاياتهم المنشودة، ولا تزال تواصل فعلها في الدراسات الاستشراقية للعالم الإسلامي الحديث والمعاصر. فلا تزال الصلة وثيقة إلى اليوم بين دارسي العالم الإسلامي من المستشرقين وبين أولي الأمر وأصحاب القرار السياسي في الغرب. ونود أن نلخص هذه المناهج في النقاط التالية:

نظر المستشرقون إلى القرآن ككتاب أدبي يفسر الثقافة الإسلامية، وقاموا بنشر آراءهم حول الإسلام بين المسلمين رغبة إقناعهم بالرؤية الغربية للإسلام التي تتمثل في أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن وأن القرآن ليس إلا صورة ملفقة من اليهودية والمسيحية وذلك من خلال مؤسسات تعليمية تقوم في بلاد المسلمين"(25).

1. درس المستشرقون القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة من المنظور اللغوي والأدبي مع مراعاة هامة إلى كونهما كتب علمي وأدبي دراسة فكرية ثقافية معرفية متضمنة بالعروبة في عناصرها
 2. درس المستشرقون فهم المسلمين من شتى أقطار العالم للقرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة كما درسوا هذه المفاهيم في حركاتهم الدينية في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية طبقا لما في النصوص الشرعية الإسلامية من الأحكام
 3. اتخذ المستشرقون منهج دراسة علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي كما اتخذوا تاريخ العرب والمسلمين في دول غير عربية إلى ذلك سبيلا، ولقد استعان بهذه العلوم ليمهد السبيل إلى معرفة حقائق ودقائق الشخصية وهوية المسلمين في حركاتهم الدينية والاجتماعية
 4. ولقد اتخذ المستشرقون دراسة حياة المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تفسير وتحليل الحقائق التاريخية لهذه الأمة الإسلامية ليحصلوا على معرفة عقليتهم فكريا، ثقافيا، ومعرفيا
 5. نظرا لانتشار الإسلام واللغة العربية خاصة في إفريقيا السوداء، جمع المستشرقون في دراساتهم بين الدول الإسلامية والإفريقية والعالم الثالث
 6. قاموا بإعطاء المنح الدراسية للمشاركين المسلمين وغيرهم من إفريقيا في أوروبا والدول الغربية في المؤتمرات الدولية ليحصلوا على المعلومات والحقائق العلمية والبحثية عن الإسلام والمسلمين
 7. اتخذ المستشرقون منهج أنثروبولوجيا (علم الإنسان)، وعلم الآثار في دراساتهم للإسلام والمسلمين والدول الإفريقية المسلمة
 8. اتخذ فلسفة غير إسلامية كمبادئ أساسية في كل مواد العلوم والمعرفة
 9. تشجيع الأجانب من أبناء المسلمين وغيرهم بالدعم في البحث العلمي طبقا على منهجهم العلماني في الجامعات الأوروبية ومحاولة تكوين الرأي الغربي في فهمهم للعلوم الإسلامية
 10. وفوق كل هذه المناهج المذكورة أعلاه، بنى المستشرقون منهجهم على الهيمنة العلمانية والرادكالية والليبرالية في بحثهم العلمي، ويراد إقناع أبناء المسلمين العرب منهم والعجم بهذا الرأي الغربي في أفكارهم وثقافتهم التي تضاد الثقافة الإسلامية المحضة.
- أثر المستشرقين في تكوين الرأي العام الغربي عن الدين الإسلامي والمسلمين**
- نتيجة هذه الحركات الاستشراقية في الاحتكاك الثقافي وأثرها في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي تتضمن في الأهداف والدوافع

والمناهج التي اتخذوها... استطاع المستشرقون أخذ القرارات والاستراتيجيات إزاء العالم الإسلامي المعاصر خاصة في الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

فنظرا للمناهج الدراسية والبحثية التي اتبعها المستشرقون فقط هي أنثروبولوجيا غير إسلامية من حيث عقديّة... يقول إدورد سعيد - موضحاً الأثر البالغ للصورة التي قام بها المستشرقون في دراسة الإسلام وأهله وحضارته تمّ نقلها إلى الثقافة الغربية المسيحية: "احتلّ الاستشراق مركزاً هو من السيادة بحيث إنني أؤمن بأنه ليس في وسع إنسان يكتب عن الشرق أو يفكر فيه، أو يمارس فعلاً متعلّقاً به، أن يقوم بذلك دون أن يأخذ بعين الاعتبار الحدود المعوقة التي فرضها الاستشراق على الفكر والعمل، وبكلمات أخرى، فإن الشرق بسبب الاستشراق لم يكن (وليس) موضوعاً حرّاً للفكر والعمل" (26).

لقد نجح المستشرقون إلى حد كبير في تكوين الرأي العام الغربي عن الدين الإسلامي والمسلمين خاصة لأبناء المسلمين أنفسهم، إذ يرى بعض دارسي المسلمين أن أهداف المستشرقين لم تكن وثيقة الصلة بالأهداف الدينية التبشيرية بل على العكس وذلك لما قد بذلوا من الجهود المضنية في اهتمامهم بالدراسات العربية الإسلامية منذ العصور الوسطى إلى اليوم. ومن الجدير بالذكر أن أولئك الباحثون الدارسون لم يزالوا ينتشرون حركات المستشرقين في ربوع العالم الإسلامي اليوم. وعلى سبيل المثال، تجد أمثال هؤلاء في الجامعات النيجيرية وغيرها في أفريقيا والعالم الثالث ممن قد تأثر بالثقافة الغربية خاصة للعلوم الإسلامية.

فنظرا للمنهج الدراسي العربي والإسلامي خاصة في الجامعات وبعض المعاهد العليا تشير إلى علمانية المعرفة من حيث التفصيل -مثلا- بين الدراسات العربية والإسلامية في أقسام هذه الجامعات، ومنها إشارة إلى النظر في اللغة العربية وأدبها في منظور علمي وأدبي ثقافي، ولم تكن هذه الدراسة مستعينة للإسلام خاصة في الدول غير عربية. الأمر الذي اضطر المسلمون الغيورون في محاولة أسلمة المعرفة بعد ما قد غرّبها المستشرقون بمنهجهم الغربي. وبظهور هيمنة العولمة، استطاع الاستشراق في حركاته المترامية في الواقع تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي المعاصر سلبي وإيجابا. وقضية العولمة هذه من الأمور المفروضة على العالم الثالث استعانها الغرب في السيطرة، وأنت تجد من أبناء المسلمين من يؤيدهم في هذا الرأي الغربي، ولقد لاحظ عبدالرزاق (27) أن الاستشراق لا يزال جزءا لا يتجزأ من الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك، ونقول إن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع، ولهذا فلا يجوز التقليل من شأنه بالنظر إليه على أنه قضية متفصلة عن باقي دوائر هذا الصراع الحضاري (28).

وجملة القول إن الاستشراق قد أوجد صراعاً فكرياً في العالم الإسلامي المعاصر وذلك في تكوين بعض الطلاب المسلمين والدارسين المسلمين عن الاعتبار المؤقت أو الدائم عن ثرائهم وفكرهم الإسلامي الأصيل خاصة الذين قد ذهبوا إلى الجامعات الأوروبية ومعاهدها لدراسة العلوم الإسلامية، متخذين أساليب ومناهج شتى إلى ذلك سبيلًا. وما نتيجة هذه الحركات سوى تحريف عقول المسلمين عن حقيقة عقائدهم الإسلامية وهي الطامة الكبرى في العالم الإسلامي المعاصر. الله المستعان!.

الخاتمة

لقد حاول هذا البحث تسليط الضوء على الدراسات الاستشراقية، كما يقوم ببيان موقفها من الإسلام، حيث قمنا ببيان نقاط الالتقاء والاختلاف بين تلك الدراسات والإسلام فكريًا وتشريعيًا وعقيدةً وسلوكًا. ونرى كيفية دراسة المستشرقين للمصادر الأساسية في التشريع الإسلامي - القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة، كذلك قمنا بدراسة مدى تأثير الحركات الاستشراقية في تشكيل الرأي العام الغربي عن الإسلام والمسلمين سلبيًا وإيجابيًا. ولقد حاولنا بيان مناهج المستشرقين في دراساتهم للإسلام وعلومه وآدابه.

وانطلاقاً من هذه الدراسة اليسيرة حول مناهج المستشرقين في تكوين الرأي الغربي للمسلمين ومحاولة إقناعهم في ذلك، نقترح ما يلي لكل ما يهّم الأمر:

- تركيز البحوث العلمية الإسلامية والعربية في القارة الإفريقية المسلمة في القيام بالمؤتمرات حول التفكير الإسلامي لجميع العلوم العقلية والعقلية.
- محاولة تمويل البحوث العلمية والدراسات الإسلامية في إفريقيا المسلمة.
- استقبال الباحثين من إفريقيا في البحوث العلمية خاصة فيما يهّم الدراسات العربية والإسلامية في القارة على منهج إسلامي محض.
- إنشاء مراكز الدراسات الاستشراقية كما أنشؤوا مراكز للدراسات العربية الإسلامية خاصة في الدول الغربية.

الهوامش

01. انظر د. محمود حمدي زقزوق الاستشراق: 20.
02. محمد شعبان أيوب قصة الاستشراق الألماني، موقع إضاءات مصر العربية، 2015م
03. A. S. Hornby, et al (eds) Current English Dictionary, Article Oriental, 1969, p. 686.
04. Donald Bolabder et al (eds.) The New Lexicon Webster Encyclopaedic Dictionary of English Language, (Deluxe Edition) Lexicon Publication Inc. USA, Article Orientalism.
05. Ibid, p. 18.
06. محمود حمدي زقزوق، الاستشراق، ص 19 وما بعدها.
07. المرجع نفسه، ص 239.
08. مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، ص 14.
09. الإلوري آدم عبدالله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، 1987، ط1، ص 65.
10. عبدالحميد مذكور، نظرات في حركة الاستشراق، ص/ص 44-45.
11. محمد شعيب أيوب، قصة الاستشراق الألماني، موقع إضاءات، مصر العربية.
12. صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألماني، دار الكتاب الجديد، لبنان، ج1، 1982، ص 7.
13. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
14. صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألماني، المرجع السابق.
15. الاستشراق.
16. فلسفة المشروع الحضاري، ج 1 و2.
17. A. L. Tibawi, Second Critique.
18. محمد شعبان أيوب، قصة الاستشراق الألماني، 2015م.
19. إدوارد سعيد، الاستشراق، ص/ص 45-46.
20. إدورد سعيد، الاستشراق.
21. راجع، فلسفة المشروع الحضاري، لأحمد محمد جاد عبدالرزاق، المرجع السابق.
22. المرجع نفسه، ص 116.
23. محمود زقزوق، المرجع السابق، ص 89.
24. الاستشراق، لإدورد سعيد، ص 45.
25. د. أحمد محمد جاد عبدالرزاق، فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي، ج1، 1995م، ص 178.
26. إدورد سعيد: الاستشراق: 150.
27. فلسفة المشروع الحضاري، المرجع السابق، ص 178.
28. محمود زقزوق، المرجع السابق، ص 19.

قائمة المصادر والمراجع

01. إدوارد سعيد، الاستشراق.
02. د. محمود حمدي زقزوق، الاستشراق.
03. محمد شعبان أيوب، قصة الاستشراق الألماني، موقع إيضاءات مصر العربية، 2015م.
04. مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2.
05. الإلوري آدم عبدالله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي، 1987، ط1.
06. عبدالحميد مذكور، نظرات في حركة الاستشراق.
07. صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألماني، دارالكتاب الجديد، لبنان، ج1، 1982.
08. د. أحمد محمد جاد عبدالرزاق، فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي، ج1، 1995م.
09. A. S. Hornby, et al (eds) Current English Dictionary, Article Oriental, 1969.
10. Donald Bolabder et al (eds.) The New Lexicon Webster Encyclopaedic Dictionary of English Language, (Deluxe Edition) Lexicon Publication Inc. USA, Article Orientalism.
11. A. L. Tibawi, Second Critique.